التوسل الصريح
في
حديث الضرير

بقلم

أبي المختار خادم القرءان:

غوني أيوب الكرمسامي البجامي المنغاوي

المالكي الأشعري التجاني

المدير العام لكتاتيب دار الفرقان العالمية

الخطيب بجامع ولاية يوبي نيجيريا

goniayyubalkaramsami@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الأعمى الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم التوسل

ولم أستوعب تخريجه وذكرت حكم العلامة المحدث الألباني له بالصحة لكي لا يرده من لا يعتمد إلا على تصحيحه وهذا اللفظ لا تصح معه دعوى تأويله بأن المعنى بدعاءنبيك – بأي وجه لقوله : يا محمد إني توجهت بك – مع التصريح باسمه – و لأنه علم الأعمى هذا التوسل مع إمكان أن يدعو له

ورواه : أحمد و النسائي في الكبرى و الصغرى و الترمذي و البيهقي في الدلائل و الطبراني في الكبير و الصغير و أبو نعيم في معجم الصحابة

قال الترمذي

حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي وعثمان بن حنيف هو أخو سهل بن حنيف .

صححه الشيخ الألباني رحمه الله في ثلاثة من كتبه

{١} صحيح الترمذي حديث رقم ٣٥٧٨ قال (صحيح) بلفظ الترمذي السابق

{٢} صحيح الجامع الصغير حديث رقم ١٢٧٩ قال صحيح وأورده بلفظ

اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في وعزاه إلى الترمذي و البيهقي في الكبرى) عن عثمان بن حنيف

{٣} المشكاة برقم ٢٤٩٥[١٤] قال (صحيح) و أورده بلفظ

عن عثمان بن حنيف ، قال: إن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: ادع الله أن يعافيني ، فقال: "" إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك "" . قال: فادعه ، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء: "" اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، إني توجهت بك إلي ربي ليقضي لي في حاجتي هذه ، اللهم فشفعه في "" . رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب .

و لفظ البيهقي في دلائل النبوة : عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجته ، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي ، واذكر حاجتك ، ثم رح حتى أرفع ، فانطلق الرجل وصنع ذلك ، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء البواب ، فأخذ بيده فأدخله على عثمان ، فأجلسه معه على الطنفسة ، فقال : انظر ما كانت لك من حاجة ، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف ، فقال له : جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته ، فقال عثمان بن حنيف : ما كلمته ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه ضرير فشكى إليه ذهاب

بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أوتصبر ؟ » ، فقال : يا رسول الله ، ليس لي قائد ، وقد شق علي « ، فقال : » ائت الميضأة فتوضأ ، وصل ركعتين ثم قل : اللهم ، إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيجلي لي عن بصري ، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي « قال عثمان : فوالله ما تفرقنا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضرر ، {ح ٢٤١٧}

و لا يمكن لهم تأويل هذا الحديث بوجه من الوجوه

١ . لأن التقدير الذي أولوا به حديث عمر لا يقبله هذا الحديث للتصريح باسمه الشريف " يا محمد" إني أتوجه بك إلى ربي . و ضمير "بك" يرجع إلى محمد قطعا .

٢ . و فيه أيضا التوسل به بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لأن القصة و قعت في خلافة عثمان فتوسل به الضرير في عصر النبوة , و هذا الرجل الذي علمه عثمان بن حنيف في عصر عثمان فدل جواز التوسل به في الحالتين.

٣ . و في هذه الرواية : رد تأويل ابن تيمية للحديث بأن النبي صلى الله عليه و سلم قد دعا للضرير فيقال : فما معنى لتعليمه التوسل إذا كان قد دعا له ؟ و على تسليم ذلك فهل دعا لهذا الرجل الذي علمه عثمان بن حنيف هذا التوسل ؟ فالجواب – ضرورة – لا لأن القصة وقعت و هو في الرفيق الأعلى

٤ . أن الواقع قد دل على ثبوت التوسل بذاته و ذلك : أن الله قد استجاب لدعوة هذا الرجل فقضيت حاجته فظن أن عثمان بن حنيف رفعها إلى عثمان بن عفان .

و لهذه الأمور التي حالت بين هؤلاء و بين تأويل هذا الحديث أذعن الشيخ الألباني للحق كرها فقال :" على أنني أقول : لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته

صلى الله عليه وسلم فيكون حكما خاصا به صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح لأنه صلى الله عليه وسلم سيدهم وأفضلهم جميعا فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم ككثير مما صح به الخبر و باب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته صلى الله عليه وسلم فعليه أن يقف عنده ولا يزيد عليه كما نقل عن الإمام أحمد والشيخ العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى . هذا هو الذي يقتضيه البحث العلمي مع الإنصاف والله الموفق للصواب[1] "

ملاحظات

١ – أن الألباني اعترف كرها بجواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه و سلم

٢ – أنه خصص الجواز به بلا دليل مع أن التخصيص بلا دليل مردود

٣ – أن جواز التوسل بسائر الأنبياء أو بالأولياء لم يكن بهذا الحديث بل بأدلة أخرى كحديث عمر في صحيح البخاري حيث توسل بالعباس بن عبد المطلب

٤ – أن مذهب الإمام أحمد و ابن عبد السلام هو جواز التوسل بجميع الأنبياء و الأولياء لا بالنبي صلى الله عليه و سلم وحده كما يدعي الألباني هنا بلا دليل و لا نقل عنهما .

و أما قولهم : إنما يجوز التوسل بالأعمال الصالحة كالإيمان و الصلاة و الصوم لا بذاته – فقول غريب جدا لأن الإيمان هو لا إله إلا الله محمد رسول الله لا (لا إله إلا الله فقط) فلا يصح العمل كائنا ما كان إلا بمجموعهما معا لا بلا إله إلا الله فقط و لا بمحمد رسول الله فقط فكيف تقبل دعوى جواز التوسل بالأعمال مع رد التوسل بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي هو شرط في صحة الأعمال كلها .

---

[1] - التوسل و أحكامه ص ٧٧ راجع تعليقنا على كلامه هذا في كتابنا " الصوفية دين ودولة الجزء الأول

بل من النصوص ما صرح بأنه صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة بل و محبته أفضل من صلاة

و صوم و صدقة ففي حديثْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُصَلِّي فَدَعَاهُ قَالَ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ قَالَ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي قَالَ أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }رواه أبو داود

{ح ١٢٤٦}

و حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أُبَيُّ وَهُوَ يُصَلِّي فَالْتَفَتَ أُبَيٌّ وَلَمْ يُجِبْهُ وَصَلَّى أُبَيٌّ فَخَفَّفَ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ قَالَ أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنْ{ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }قَالَ بَلَى وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ {ح ٢٨٠٠}

و في حديث أنس عند مسلم : ما أعددت لها كثير صلاة و لا صوم و لا صدقة و لكني أحب الله و رسوله , و لم ينكر على الرجل بل أقره و قال : المرء مع من أحب .